

داعش يراهن على نساء الماليزيو لإحياء «دولة الخلافة»

الأجنحة النسوية للأحزاب الماليزية تقاوم الإسلام السياسي بالأخلاقي



يراهن تنظيم داعش على النساء عموماً لإحياء ما يسمى بـ«دولة الخلافة الإسلامية». وعلى نساء المالايو بشكل خاص حيث كشفت دراسات اهتمامهن المتزايد بالانخراط في صفوف التنظيمات المتطرفة ليحول الأمر إلى ظاهرة تُوَرق السلطات الماليزية.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

يستهدف تنظيم داعش النساء باعتبارهن أمهات مجاهدي المستقبل، اللاتي سيوزعن اللحم بعدو الخلافة الإسلامية في نفوس النشء. هذا التصور ظهر بوضوح في استهداف داعش لنساء ماليزيا، اللاتي أكد بعضهن بعد عودتهن من سوريا مؤخرًا أن انهيار دولة داعش ليس آخر المطاف، لأن أطفالهن سيعيدونها يوماً ما. ولا شك أن اتساع عدد النساء الماليزيات المنخرطات في تنظيم الدولة بحلول عام 2018 دفع أجهزة الأمن الماليزية والمحللين المهتمين بالتطرف الديني إلى الالتفات للظاهرة والنظر للمنحى السعودي باهتمام، ومحاولة الاستقراء والمتابعة خوفاً من اتساع حالة الاستقطاب في ظل ظروف سياسية معقدة.

التوجه نحو التطرف

طرحت دراسة حديثة نشرتها مدرسة راغارانتام للدراسات الدولية «آر.إس.آي.إس» بجامعة نانج للتكنولوجيا بسنغافورة، وأعدتها الباحثة بي سوخاني المتخصصة في شؤون الإرهاب الديني والمرأة في دول جنوب شرق آسيا، جذور التوجه النسوي الماليزي نحو التطرف، والذي تتمثل صورته القصوى في تنظيم داعش الإرهابي. وطبقاً للدراسة، مثل القبض على سيدة ماليزية في مايو 2018 بعد إعدادها خطة هجوم تفجيري لمركز اقتراع في العاصمة كوالامبور، بداية لمرحلة جديدة، تتحول فيها النساء من مجرد داعمات ومساندات وزوجات للمجاهدين، إلى مجاهدات بأنفسهن.

رغم سقوط دولة الخلافة
المزعومة، إلا أن تأثيرات
التنظيم في المجتمع
النسوي الماليزي شهدت
نموً واضحاً

كانت السيدة البالغة من العمر 51 عاماً على اتصال عبر مواقع التواصل الاجتماعي مع نحو 600 شخص من متابعيها، ورغم كونها أما لطفلين، فإنها كانت تنهض لتصبح أول قائدة لمنظمة تابعة لتنظيم داعش في ماليزيا. وقتها، لاحظ أيوب خان رئيس وحدة مكافحة الإرهاب في الشرطة الماليزية أن القضية تعكس وجود استراتيجية جديدة لداعش في زيادة أعضائه من النساء مستهدفاً بذلك تحويلهن إلى مقاتلات بشكل مباشر. ورأى محللون أن رغم سقوط دولة الخلافة المزعومة، إلا أن تأثيرات التنظيم في المجتمع النسوي الماليزي شهدت نمواً واضحاً، وربما كان ذلك نتيجة أوضاع سياسية واجتماعية مُتذبذبة.

وإذا كان تنظيم داعش اهتم منذ أيامه الأولى سنة 2013 بتجنيد النساء، وطرح خطايا عاطفياً تجاههن عبر نشراته ومواقعها الإلكترونية، فإن جذبه للنساء خاصة من دول أوروبا اعتمد على فكرة غريبة بحتة وهي المساواة الجندرية (النوعية) إذ صار بإمكان المرأة القتال والتفجير، ومنح الحياة وإفقادها للآخرين مثلها مثل الرجل. لقد كانت المرأة في البداية مهمة للتنظيم لتوليد جيل جديد من الجهاديين الذين يضمنون استمرار الدولة ويحققون النصر يوماً ما، وهو

ما روجت له كتيبة الخنساء الداعشية عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وكانت المرأة تقوم بمهام عديدة في المجال الصحي والتعليمي والتربوي، لكن الأمر تطور فجأة لتتخرط في الأعمال القتالية. من هنا أمكن لداعش التكيف مع الخطاب الغربي الداعي لتمكين المرأة، ولأجلت الباحثة كريستن سكستا في دراسة لها أن معظم النساء اللاتي يتورطن في عمليات إرهابية يفعلن ذلك كنوع من المشاركة السياسية وكنموذج للتحقق النوعي.

وذكرت الباحثة أن بعض النساء، خاصة في الدول الغربية، يرغبن في ترسيخ فكرة مفادها أنهن يفجرن أنفسهن، لأنهن مثل الرجال قادرات على القتل، ويمكنهن تقديم نماذج شهيدات تمثل قدوة للأطفال والأجيال الجديدة. وليس غريباً أن نجد معظم السيدات المقاتلات في داعش من بريطانيا وألمانيا وفرنسا، وحتى أميركا، فاخترت غريبات للقتال ضد الغرب بالطبع كان اختياراً متعمداً، واستخدام النساء بمنحن قوة وحق وسيادة نوع من التلاعب بهن ربما هو مقصود للتكيف مع فكرة السعي النسوي للتحقق النوعي.

وبدا أن المرأة التي تقبل القتال تتحقق نوعياً من كونها سيدة تمتلك قوة وسلطة، وإن لم تقبل فيتم دفعها تدريجياً للقبول، وفي مرحلة معينة لم يكن ممكناً للنساء المنضمت التفتقر عن الطريق المرسوم لهن، لأن كثيرات ممن حاولن الهرب تعرضن للاغتصاب والاستبعاد الجنسي.

خصوصية ماليزية

ربما اختلف الأمر بصورة ما في ماليزيا، لأن قضية التمكين النوعي للمرأة ليست هدفاً للنساء اللاتي يعتقدن أن دورهن كامهات وربات بيوت هو الدور الأساسي المنوط بهن القيام به.

وترى بي سوخاني في دراستها عن هذه الظاهرة أن التطرف لا يمكن أن يحدث في الفراغ، وأنه يتداخل بثقافات وحركات اجتماعية وثقافية متنوعة، لذا فإنها تشير إلى أن فهم طبيعة الدور الذي تلعبه المرأة في ماليزيا ضروري لتفسير تطرفها

وإقبالها على داعش، ويسمح الفهم العميق لانخراط الماليزيات في داعش ورؤاه بوضع تصورات فعالة لمواجهة المجال للإرهاب.

وكشفت استجابات بعض النساء المنضمت لداعش أنهن غير متماتلات في العمر والتعليم والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، ولم تكن أرواهن متشبعات بفكرة التحقق النسوي، لكن الدوافع بدت متنوعة لديهن بين الزواج بالجهاديين والتطهر من الخطايا والفوز بالأجنحة واكتساب الأمانة الصالحة.

وتقول بي سوخاني إن الادعاء بأن المرأة الماليزية مقهورة ومحرومة من حقوقها هو مجرد منهج غربي غير حقيقي لأنها طبقاً لدراسات سابقة كانت تتمتع بالاستقلال والتحقيق الاقتصادي منذ القرن الـ16، حيث انخرطت في أعمال التجارة والإنتاج الزراعي والمشروعات الصغيرة، وتمتعن بحال أفضل كثيراً مما كان لدى النساء في الهند أو العالم العربي.

ويمكن جوهر المشكلة في أن نمو التيارات الدينية في ماليزيا خلال العقود الأخيرة أدى إلى نشوء طبقة وسطى عرضية من المعلمات اللاتي يؤمن أن دورهن الحقيقي مُكمل لدور الرجل، وأنهن في الأصل أمهات وراعيات أطفال ومسؤولات عن غرس الأخلاق في الناشئة فقط.

والدراسة عن سيدة في إحدى المؤسسات الدينية الماليزية قولها إن المرأة يمكن أن تصبح قائدة في بيتها ومعظم النسوة في الريف والحضر يتبنين ذلك. وفي مناقشات حول الصفات الطيبة في

المرأة المسلمة، كان الجميع يتفق على أن صفة الطاعة ذات أولوية. وفي عام 2019 تم إجراء استطلاع رأي على 675 سيدة بواسطة منظمة الأخوات المسلمات في ماليزيا، وذكر الاستطلاع أن 97 في المئة من النساء يرون أن التزامهن الإسلامي الأول هو طاعة الله، وذكرت 96 في المئة منهن أن طاعة الزوج التزام واجب على المرأة المسلمة.

وتؤمن الماليزيات بأنهن أمهات معلمات أولاً، وهو ما يتلاقى مع فكر داعش لإعداد مشاريع شهداء جدد، ويؤمن بانتهن أدوات لدفع الرجال

ويكمن جوهر المشكلة في أن نمو التيارات الدينية في ماليزيا خلال العقود الأخيرة أدى إلى نشوء عريضة من المتعلمات اللاتي يؤمن أن دورهن الحقيقي مُكمل لدور الرجل

لطريق الشهادة، وهو أعظم شرف ربما يتصورونه للمسلم، ويتحركن بدافع الوصول للدور الذي يروونه كامهات وزوجات صالحات أولاً قبل التحقق النوعي.

لذا لم يكن غريباً أن تتبع الشرطة الماليزية فتاة تبلغ من العمر 14 عاماً تسعى للزواج من ماليزي مقيم في القاهرة يبلغ من العمر 22 عاماً، ويخططان معا للسفر إلى سوريا عبر إسطنبول للانضمام إلى داعش. بالطبع لا يقتصر الأمر على الفتيات الصغيرات، فأعضاء التنظيم يستهدفون الأراذل لجعلهن عرائس للمجاهدين.

تخلص الدراسة إلى أنه لا تتم دعوة النساء الماليزيات للقتال والانضمام لداعش تحت لافتة المساواة بين النوعين، وإنما تحت لافتة أداء دورهن المؤمنات به في البيئة المحلية ماليزيا، كزوجات صالحات وأمهات تقيات، وأن بعضهن يخرن المشاركة في القتال كنوع من التضحية المثلّي.

المراقبة والمقاومة

شكل عام 2017 ذروة نجاح داعش في جذب الماليزيين، ففيه انضم نحو 95 ماليزيا إلى التنظيم، ومن بين هؤلاء عشر عائلات، سافرت جميعاً إلى سوريا والعراق، وفي حقيقة الأمر تفوق الأعداد الحقيقية للمنضمين للتنظيم والمتعاطفين هذا الرقم كثيراً.

وتشير مجموعة «صوفان» الأميركية للاستشارات والدراسات إلى أن معظم الماليزيين المنضمين إلى داعش انخرطوا ليكونوا مسلمين جيدين، ومعظمهم كانت لديهم تصورات خيالية للخلافة الإسلامية. واستمر خيط التواصل مع الماليزي مع داعش حتى مطلع العام

خصوصية المرأة الماليزية تسهل مهمة التنظيم

الحالي، إذ أعلنت الشرطة الماليزية في 30 يناير الماضي أن هناك 56 مواطناً تحت الاحتجاز في سوريا متهمين بالإرهاب، وأن 20 منهم نساء.

وفي فبراير الماضي تم تعيين سيدة، هي نورما أشاك، لأول مرة رئيساً لوحدة مكافحة الإرهاب، وعلى رأس مهامها إعادة النساء الداعشيات الماليزيات إلى الوطن، وفي تصورها، أن المشكلة تكمن في النساء العائلات، حيث يربن أنهن ضمان حيوية واستمرار أفكار تنظيم داعش، ومسؤولات عن نقلها إلى جيل جديد من الأبناء بعيد دولة الخلافة إلى الواقع، وهو ما يتفق مع تصور التنظيم بأن دعماته من الأناث مفتاح العودة للحياة في المستقبل.

وطبقاً لرؤية بي سوخاني، فإن هذا التصور يجد له قواعد تسانده دورهن المؤمنات به في البيئة المحلية ماليزيا، كزوجات صالحات وأمهات تقيات، وأن بعضهن يخرن المشاركة في القتال كنوع من التضحية المثلّي.

واتخذت الدولة الماليزية جهوداً إسلامية تجعل من نفسها مفتاحاً للشرعية، حتى أن حكومة باكتان هاربان، والتي تضم أحزاباً ممثلة للجالية الصينية، وقبل انهيارها في مارس الماضي، أولت اهتماماً كبيراً بأوضاع الملايو المسلمين والذين يتعرضون لأخطار عدة.

يمكن القول، إن الدولة الماليزية فطنت مؤخراً لضرورة سلة الفراغ لدى مجتمع النساء المسلمات، فسعت بعض أحزابها الرئيسية إلى استخدام أجنحتها النسوية لتعزيز الحداثة، اعتماداً على القرآن والأحاديث من خلال تشجيع المرأة على العمل التشاركي ودفع النساء للإيمان بدور حيوي يمكن أن يلعبه داخل كل أسرة، باعتبارهن مسؤولات عن زرع الأخلاق الحميدة في أبنائهن.

بيد أن ذلك وحده غير كاف لمواجهة تأثيرات داعش، لأن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ماليزيا معقدة وتشهد تغيرات وتحولات عديدة وسريعة، ولا بد من ملاحظة أن تكتيكات قوى الإرهاب الدولي تتطور وتتغير كل يوم، ويجب أن تستمر مراقبة جسر العلاقات بين الإرهاب بمفهومه الدولي وبين البيئة المحلية في ماليزيا لمواجهة محاولات تمدد داعش في مجتمع الملايو.